www.dvd4arab.com

حلیسی

نزار قباني

عذاب

أكبر من كل الكلمات

سـيدتي ! عنـدي فـي الـدفتر
تـرقص آلاف الكلمـات
واحـدة .. فـي ثـوب أصـفر
واحـدة .. فـي ثـوب أحمـر
يحـرق أطـراف الصـفحات
أنـا لسـت وحيـدًا فـي الـدنيا
عـائلتي .. حزمـة أبيـات
أنـا شـاعر حـب جـوال
تعرفـه كـل الشـرفات
تعرفـه كـل الحلـوات
عنـدي للحـب تعـابير
مـا مـرت فـي بـال دواة

* * *

الشـمس فتحْـتُ نوافـذها
وتركـتُ هنالـك مرسـاتي
وقطعـتُ بحـارًا .. وبحـارًا
أنـبش أعمـاق الموجـات
أبحـث فـي جـوف الصـدفات
عـن حـرف كـالقمر الأخضـر
أهديـه لعينـيّ مـولاتي

* * *

سـيدتي ! فـي هـذا الـدفتر
تجـدين ألـوف الكلمـات
الأبـيض منهـا .. والأحمـر
الأزرق منهـا .. والأصـفر
لكنـكِ يـا قمـري الأخضـر
أحلـى مـن كـل الكلمـات
أكبـر مـن كـل الكلمـات

حبيبتي

حبيبتـــــي . إن يســـألوكِ عنّـــي
يومًـــا ، فـــلا تفكـــري كثيـــرًا
قـــولي لهـــم بكـــل كبريـــاء :
" يحبنـــي .. يحبنـــي كثيـــرًا .."
صـــغيرتي . إن عـــاتبوكِ يومًـــا
كيـف قصصـتِ شـعركِ الحريـرا
وكيـــف حطمـــتِ إنـــاء طيـــبٍ
مـــن بعـــد مـــا ربيتِـــهِ شـــهورًا
وكـــان مثـــل الصـــيف فـــي بـــلادي
يـــوزع الظـــلال والعبيـــرا
قولي لهم : " أنـا قصصـت شـعري
لأن مـــن أحبـــه .. يحبـــه قصـــيرًا "
* * *
أميرتـــــي . إذا معًـــــا رقصـــــنا
علـــى الشـــموع لحننـــا الأثيـــرا
وحـــول البيـــانُ فـــي ثـــوانٍ
وجودنـــــا آشـــــعة ونـــــورًا
وظنـــك الجميـــع فـــي ذراعـــي
فراشـــــة تهـــــم أن تطيـــــرا
فواصـــلي رقصـــكِ فـــي هـــدوءٍ
واتخـــذي مـــن أضـــلعي ســـريرًا
وتمتمـــــي بكـــــل كبريـــــاءٍ
" يحبنـــي .. يحبنـــي كثيـــرًا "
* * *
حبيبتـــــي . إن أخبـــــروكِ أنّـــــي
لا أملـــــك العبيـــــد والقصـــــورا
ولـــيس فـــي يـــديّ عقـــد مـــاسٍ
بـــه أحـــيط جيـــدَكِ الصـــغيرا
قـــولي لهـــم بكـــل عنفـــوانٍ
يـــا حبـــي الأول والأخيـــرا
قـــــولي لهـــــم : كفـــــاني
بأنـــــه يحبنـــــي كثيـــــرًا ...
* * *

حبيبتـــــي .. يـــا ألـــف حبيبتـــي
حبـــــي لعينيـــــكِ أنـــــا كبيـــــرٌ
وسوف يبقـــــى دائمـــاً كبـــيرا ...

شؤون صغيرة

- ١ -

شؤون صغيره
تمر بها أنت .. دون التفات
تساوي لدي حياتي
جميع حياتي..
حوادث .. قد لا تثير اهتمامك
أعمر منها قصور
وأحيا عليها شهور
وأغزل منها حكايا كثيرة
وألف سماء .. وألف جزيره
شؤون .. شؤونك تلك الصغيره ...

* * *

- ٢ -

فحين تدخن أجثو أمامك
كقطتك الطيبه ..
وكلي أمان
ألاحق مزهوة معجبه
خيوط الدخان
توزعها في زوايا المكان
دوائر.. دوائر
وترحل في آخر الليل عني
كنجم، كطيب مهاجر
وتتركني يا صديق حياتي
لرائحة التبغ .. والذكريات
وأبقى أنا .. في صقيع انفرادي ..
وزادي أنا .. كل زادي
حطام السجائر ..
وصحن .. يضم رماداً ..

يضم رمادي...

* * *

- ٣ -

وحين أكون مريضه ..
وتحمل أزهارك الغاليه
صديقي ، إلي
وتجعل بين يديك يدي
يعود لي اللون والعافيه
وتلتصق الشمس في وجنتي
وأبكي .. وأبكي .. بغير إراده
وأنت ترد غطائي علي
وتجعل رأسي فوق الوساده
تمنيت كل التمني .. صديقي .. لو أني ..
أظل .. أظل عليله ..
لتسأل عني ..
لتحمل لي كل يوم ورودا ً جميله .

* * *

- ٤ -

وإن رن في بيتنا الهاتف
إليه أطير ..
أنا .. يا صديقي الأثير
بفرحة طفل صغير
بشوق سنونوةٍ شارده
وأحتضن الآلة الجامده
وأعصر أسلاكها البارده
وأنتظر الصوت .. صوتك يهمي عليّ
دفيئا ً .. مليئا ً .. قويّ ..
كصوت نبيّ ..
كصوت ارتطام النجوم ، كصوت سقوط الحلي
وأبكي .. وأبكي .. لأنك فكرت فيّ ..
لأنك من شرفات الغيوب .. هتفت إليّ ..

* * *

- ٥ -

ويوم أجيء إليك لكي أستعير كتاب ..
لأزعم أني أتيت لكي أستعير كتاب ..
تمدّ أصابعك المتعبه
إلى المكتبه ..
وأبقى أنا في ضباب الضباب
كأني سؤال بغير جواب
أحدق فيك .. وفي المكتبه ..
كما تفعل القطة الطيبه ..
تراك اكتشفت ؟
تراك عرفت ؟
بأني جئت لغير الكتاب
وأني لست سوى كاذبه !!.

* * *

- ٦ -

.. وأمضي سريعاً إلى مخدعي
أضم الكتاب إلى أضلعي
كأني حملت الوجود معي ..
وأشعل ضوئي .. وأسدل حولي الستور
وأنبش بين السطور ، وخلف السطور
وأعدو وراء الفواصل .. أعدو وراء نقاط تدور
.. ورأسي يدور ..
كأني عصفورة جائعه
تفتش عن فضلات البذور
لعلك يا .. يا صديقي الأثير
تركتَ بإحدى الزوايا .. عبارة حب قصيره ..
جنينة شوقٍ صغيره ..
لعلك بين الصحائف خبأت شيًّا
سلاماً صغيراً .. يعيد السلام إليا ..

- ٧ -

.. وحين نكون معاً في الطريق
وتأخذ – من غير قصد – ذراعي
أحسُّ أنا يا صديق
بشيٍّ عميق

بشيٍّ يشابه طعم الحريق
على مرفقي ..
وأرفع كفيَّ نحو السماء
لتجعل دربي بغير انتهاء ..
وأبكي .. وأبكي .. بغير انقطاع ..
لكي يستمر ضياعي ..

- ٨ -

وحين أعود مساءً إلى عرفتي ..
وأنزع عن كتفيَّ الرداء ..
أحس – وما أنت في غرفتي –
بأن يديك ..
تلفان في رحمة مرفقي ..
وأبقى لأعبد يا مرهقي
مكان أصابعك الدافئات
على كم فستاني الأزرق ..
وأبكي .. وأبكي .. بغير انقطاع
كأن ذراعي ليست ذراعي ..

فستان التفتا

أمس انتهى فستاني (التفتا) ..
أرأيت فستاني ؟
حققتُ فيه جميع ما شئتَ
وشياً .. ونمنمةً .. وطرائفاً شتى ..
أرأيت فستاني ؟
أرأيتني ؟ أنا بعض نيسان .. أنا كلّ نيسان ..
صنَعتْه حائكتي ..
من دمع تشرين ..
من غصن ليمون ..
من صوت حَسّون ..
اخترته لوناً حشيشياً ..
لونًا يشابه لون عينيّا ..
فصلته شكلا أثيريّا ..
فأنا به أخفى من الرؤيا ..

ومشيت .. لم أسأل عن الدنيا ..
ما همّني الدنيا ؟ أنا الدنيا ..
* * *
... ورجعت أحمله إلى البيت
وأخذت أمسحه .. وأطويه ..
أسقيه .. أطعمه .. أغنّيه ..
لأجيء فيه ليلة السبتِ
لتكون .. أوّل من ألاقيهِ ..
* * *
أمس انتهى .. فستاني (التفتا)
من عندِ حائكتي ..
أكمامه عشب البحيرات
أزراره كقطيع نجماتِ
أمس انتهى .. لم تدر والدتي
فيه ، ولم أخبر رفيقاتي ..
* * *
ما قصّتي ؟
أثلاث ساعاتِ ؟
وأنا أدور أمام مرآتي
أقصِيهِ عن صدري .. وأدنيه ..
أرجوه .. أسأله .. أناديه ..
وأعدّه للموعد الآتي ..
حتى تراني حلوة فيه ...
أمس انتهى فستاني (التفتا) ..
ما همّني رأي الرفيقات
يكفي .. إذا أحببتَه أنتَ !!

كلمات

يُســـمعني .. حـــينَ يراقصُـــني
كلمـــاتٍ ، ليســـت كالكلمـــات

يأخـــذني مـــن تحـــتِ ذراعـــي
يزرعنـــي فـــي إحـــدى الغيمـــات

والمطـــرُ الأســـودُ فـــي عينـــي
يتساقـــــطُ زخـــــاتٍ .. زخـــــات

يحملـــــني معـــــهُ.. يحملـــــني
لمســـــــاءٍ وردي الشُرفـــــــات

وأنـــــا كالطفلـــــةِ فـــــي يـــــدهِ
كالريشـــــةِ تحملهـــــا النسمـــــات

يحمـــــلُ لـــــي سبعـــــة أقمـــــارٍ
بيديـــــهِ ، وحُزمـــــة أغنيـــــات

يهـــــديني شمســـــاً.. يهـــــديني
صـــــيفاً.. وقطيـــــعَ ســـــنونوَّات

يخـــــبرني أنـــــي تحفتـــــهُ
وأســـــاوي آلافَ النجمـــــات

و بأنـــــي كنـــــزٌ .. وبـــــأني
أجمـــلُ مـــا شـــاهدَ مـــن لوحـــات

يـــــروي أشيـــــاءَ تدوخـــــني
تنســـيني المـــرقصَ والخطـــوات

كلمـــــاتٍ .. تقلـــــبُ تـــــاريخي
تجعلنـــــي امـــــرأةً فـــــي لحظـــــات

يبنـــي لـــي قصـــراً مـــن وهـــمٍ
لا أســـكنُ فيـــهِ ســـوى لحظـــات

وأعـــــودُ .. أعـــــودُ لطـــاولـــــتي
لا شـــــيءَ معي .. إلا كلمـــــات ...

شَعري سريرٌ مِنْ ذهب

شعري .. سرير من ذهبْ ..
فرشته لمن أحبّ ..
غمسته في الشمس .. أوجعت الشهب
بعثرته ..
أحسّ أنّ الله من شعري اقترب
جملته .. شكلته .. زهرًا وتفتًا وقصب
شعري أنا قصيدة من الذهب ..
داخت عصافير به
بِطولِه .. شعري الذهب
فأين مَن شعري له ..أين ذهب ؟

لواحد أحبّه ..
ربيته ، هذا الطويل المنسكب
سقيته .. من خفقة الضوء ورعشات اللهب
خبّأت تموز به .. قمحًا ولوزًا وعنبْ
له .. له .. أطلته
جعلته بطول مدات الطرب
تعبت في تطويله ..
تعبت في تدليله ..
تعبت كي ينسى التعب
* * *
لواحد .. لواحدٍ ..
أقعد في الشمس أنا .. من سنة
أفتل أسلاك الذهب ..

لوليتا

- ١ -

صار عمري خمس عشره
صرت أحلى ألف مره
صار حبي لك أكبر

ألف مره ..
ربما من سنتين
لم تكن تهتم في وجهي المدور
كان حسني بين .. بين ..
وفساتيني تغطي الركبتين
كنت آتيك بثوبي المدرسي
وشريطي القرمزي
كان يكفيني بأن تهدي إليَّ
دمية .. قطعة سكر ..
لم أكن أطلب أكثر ..

- ٢ -

... وتطور
بعد هذا كل شيء
لم أعد أقنع في قطعة سكر
ودمى .. تطرحها بين يدي
صارت اللعبة أخطر ..
ألف مره ..
صرت أنت اللعبة الكبرى لديَّ
صرت أحلى لعبة بين يدي
صار عمري خمس عشره ..

- ٣ -

صار عمري خمس عشره
كل ما في داخلي غنى .. وأزهر
كل شيء صار أخضر ..
شفتي خوخ .. وياقوت مكسر
وبصدري ضحكت قبة مرمر ..
وينابيع ، وشمس ، وصنوبر
صارت المرآة ، لو تلمس نهدي ، تتخدر
والذي كان سوياً قبل عامين تدور .. فتصور ..
طفلة الأمس التي كانت على بابك تلعب ..
والتي كانت على حضنك تغفو حين تتعب
أصبحت قطعة جوهر ..
لا تقدر ..

صار عمري خمس عشره
صرت أجمل ..
وستدعوني إلى الرقص .. وأقبل
سوف ألتف بشال قصبي
وسأبدوا كالأميرات ببهو عربي
أنت بعد اليوم ، لن تخجل في ..
فلقد أصبحت أطول ..
آه .. كم صليت كي أصبح أطول
إصبعاً .. أو إصبعين ..
آه .. كم حاولت أن أظهر أكبر
سنةً .. أو سنتين ..
آه .. كم ثرت على وجهي المدور ..
وذؤاباتي .. وثوبي المدرسي
وعلى الحب بشكل أبوي
لا تعاملني بشكل أبوي
فلقد أصبح عمري خمس عشره ..

صديقتي وسجائري

واصـــل تـــدخينك .. يغرينـــــي
رجـــل فـــي لحظـــة تدخيـــــن
هـــي نقطـــة ضـــعفي كامـــرأة
فاســـتثمر ضـــعفي وجنـــوني
مـــا شـــهى تبغـــك ، والدنيـــــا
تســـــتقبل أول تشريـــــــن
والقهـــوة .. والصـــحف الكســـلى
ورؤى .. وحطـــــام فناجيـــــن
دخـــن لا أروع مـــن رجـــــل
يفنـــى فـــي الـــركن .. ويفنينـــي
رجـــل .. تنضـــم أصابعـــــــه
وتفكـــر مـــن غيـــر جبيـــــن ..
أشـــعل واحـــدة مـــن أخـــــرى ..
أشـــعلها مـــن جمـــر عيـــوني

ورمـــادك ضـــعه علـــى كفـــــي
نيرانـــــك ليســـــت تؤذنـــــــي
فأنـــا كـــامرأة .. يرضينـــــــي
أن ألقـــى نفســـي فـــي مقعـــــد
ســـاعات فـــي هـــذا المعبـــــد
أتأمـــل فـــي الوجـــه المجهـــــد
وأعـد .. أعـد .. عـروق اليـــــد
فعـــــروق يـــــديك تسلينـــــي
وخيـوط الشـيب هنـا .. وهنـــا ..
تنهـــي أعصـــابي .. تنهينـــــي
دخـــن .. لا أروع مـــن رجـــــل
يفنـــى فـــي الـــركن .. ويفينـــي

* * *

أحرقنـــي .. أحـــرق بـــي بيتـــــي
وتصـــــرف فيـــــه كمجنـــــون ..
فأنـــا كـــامرأة .. يعجبنـــــــي
أن أشـــــعر أنـــــك تحمينـــــي
أن أشـــــعر أن هنـــــاك يـــــداً
تتســـلل مـــن خلـــف المقعـــــد ..
كـــي تمســـح رأســـي وجبينـــي
تتســـلل مـــن خلـــف المقعـــــد
لتـــــداعب أذنـــــي بســـــكون
ولتتـــرك فـــي شـــعري الأســـود
عقـــداً مـــن زهـــر الليمـــون

* * *

دخـــن .. لا أروع مـــن رجـــــل
يفنـــى في الركـــن .. ويفنيـــــني

عندما تمطر فيروزاً

لا تســـــــألـيني .. هـل أحبهمـا ؟
عينيـــــك .. إنـــي منهمـا لهمـــــا

ألديك مـــــــــرآتان من ذهـــب ؟

ويقـــال لـــي ، لا أعتنـــي بـــهما

أســتغفر الفيــروز .. كـــيف أنـــا
أنسى الذي بيني وبينـــــــــهما ؟

أ بلحظـة تنسـين ، سيـــــــــدتي
تـــاريخي المرســـوم فوقهمـــا ؟

وجميـــع أخبـــاري مصـــورة
يومـــاً فيومـــاً ، فـــي اخضـــرارهما

نهـران مـن تبـغ .. ومـن عسـل
مـــا فكـــرت شـــمس بمثلهمـــا

وســـــتارتان .. إذا تحركتـــــا
أبصـــرت وجـــه الله خلفهمـــا
* * *
عـــام .. وبعـــض العـــام ســـيدتي
وأنـــا أضـــيء الشـــمع حولهمـــا

كـــم جئـــت أمســـح فيهمـــا تعبـــي
كـــم نمـــت .. كـــم صـــليت عنـــدهما

كوخـــان عنـــد البحـــر .. هـــل ســـنة
إلا قضـــيت الصـــيف تحتهمـــا

أحشـــو جيـــوبي كلهـــا صـــدفاً
وأذيـــب حزنـــي فـــي مياههمـــا
* * *
عـــاد الشـــتاء بكـــل قســـوته
يمـــتص أيـــامي فـــأين همـــا ؟

الشـــمس ، منـــذ رحلـــت مطفـــأة

والأرض ، غيـر الأرض ، بعـدهما

الآن أدرك حيـــــث لا قمـــــر
ماذا أنـــا ؟ مـــاذا .. بدونهمـــا

أيظن ؟

أيظـــنّ أنّـــي لعبـــة بيديـــه ؟
أنـــا لا أفكّـــر فـــي الرجـــوع إليـــه ..

اليـوم عـاد .. كـأن شـيئًا لـم يكـن
وبـــراءة الأطفـــال فـــي عينيـــه ..

ليقـــول لـــي : إنـــي رفيقـــة دربـــه
وبـــأنني الحـــي الوحيـــد لديـــه

حمـل الزهـور إلـيّ .. كيـف أرده
وصـــباي مرســـوم علـــى شـــفتيه

ما عدت أذكر .. والحرائق في دمي
كيـــف التجـــأت أنـــا إلـــى زنديـــه

خبـــأت رأســـي عنـــده .. وكـــأنني
طفـــل أعـــادوه إلـــى أبويـــه

حتـــى فســـاتيني التـــي أهملتهـــا
فرحـت بـه .. رقصـت علـى قدميـه

* * *

ســـامحته .. وســـألت عـــن أخبـــاره
وبكيـــت ســـاعات علـــى كتفيـــه

وبـدون أن أدري .. تركـت لـه يـدي
لتنـــام كالعصـــور بـــين يديـــه ..

ونسيت حقدي كله في لحظة
من قال إني قد حقدت عليه؟

كم قلت إني غير عائدة له
ورجعت .. ما أحلى الرجوع إليه ..

نهر الأحزان

عيناكِ .. كنهري أحزان
نهري موسيقى حملاني
لوراء .. وراء الأزمان
نهرَي موسيقى قد ضاعا
سيّدتي ، ثمَّ أضاعاني
الدمعُ الأسودُ .. فوقهما
يتساقطُ أنغامَ بيان
عيناكِ .. وتبغي .. وكحولي ..
والقدحُ العاشرُ أعماني
وأنا في المقعدِ .. محترقٌ
نيراني تأكلُ نيراني
أأقول أحبّكِ .. يا قمري؟
آهٍ لو كانَ بإمكاني
فأنا لا أملكُ في الدنيا
إلا عينيكِ .. وأحزاني

* * *

سفني في المرفأ باكيةٌ
تتمزّقُ فوقَ الخلجان
ومصيري الأصفرُ حطّمني
حطّمَ في صدري إيماني
أأسافرُ دونكِ ليلكتي
يا ظلَّ الله بأجفاني
يا صيفي الأخضرَ .. ياشمسي
يا أجملَ .. أجملَ ألواني
هل أرحلُ عنكِ ؟. وقصّتنا
أحلى من عودةِ نيسان

أحلـــى مـــن زهـــرةِ غارديـنيـــا
فـــي عُتمـــةِ شعـــرٍ إسبـــاني
يـــا حبّـــي الأوحـــد .. لا تبكـــي
فـــدموعُكِ تحفـــرُ وجـــداني
إنـــي لا أملـــكُ فـــي الدنيـــا
إلا عينيـــــكِ .. وأحزانـــــي
* * *
أأقول أحبـــك .. يـــا قمـــري
آه لـــو كـــان بإمكـــاني
فأنـــا إنســـانٌ مفقـــودٌ
لا أعـــرفُ فـــي الأرضِ مكـــاني
ضيّعـــني دربـــي .. ضيعَـــني
إســـمي .. ضيَعَـــني عنـــواني
تاريخـــي ؟ مـــا لي تاريـــخ
إنـــي نســـيان النســـيان
إنـــي مرســـاة لا ترســـو
جـــرحٌ بملامـــحِ إنســـانِ
مـــاذا أعطيـــكِ ؟ أجيبيـــني
قلقـــي ؟ إلحـــادي ؟ غثيـــاني ؟
مـــاذا أعطيـــكِ ســـوى قـــدرٍ
يرقـــصُ فـــي كـــفِّ الشـــيطانِ
أنـــا ألـــفُ أحبّـــكِ .. فابتعـــدي
عنّـــي .. عـــن نـــاري ودُخـــاني
فأنـــا لا أمـــلكُ فـــي الدنيـــا
إلا عينيـــكِ .. وأحـــزاني

تلفون

صـوتكِ القـادم مـن خلـف الغيـوم
سـكب النـار علـى الجـرح القـديم

مـدّ لـي أرجوحـة مـن نغـم
ورمـاني نجمـة بـين النجـوم

مــن تــرى يطلبنـــي ؟. مخطئــةٌ ..
فـــاتركيني لـــدخاني وهمـــومي

أنـــا جـــرح مطبِـــقٌ أجفانـــه
فلمـــاذا جئـــت تحيـــين هشـــيمي ؟

رقَمـــي . مـــن أيـــن جئـــتِ بـــهِ ؟
تحت عصف الريح في الليل البهيم

بعـــد أن عـــاش غريبـــاً مهمـــلاً
بـــين أوراقـــكِ .. كالطفـــل اليتـــيم

كيـف .. مـن بعـد شـهور خمسـة
عدتِ يا صاحبة الصوت الرخيم ؟

حبُّنـــا .. كـــان عظيمًـــا مـــرّة
وطوينـــا قصّـــة الحـــبّ العظـــيم

أتقـــولين : (أنـــا آســـفة ..)
بعـدما ألقيـتِ حبّـي فـي الجحـيم ؟

لـــم أعـــد أُخـــدع ، يـــا ســـيدتي
بالحديث الحلو .. والصوت النّغوم

صـــوتكِ العائـــد .. لا أعرفـــه
كـان يومًـا جنّتـي .. كـان نعيمـي
* * *
حُلـــوتي .. بـــالرغم ممـــا قلتُـــه
فأنـــا - بعـــد - علـــى حبّـــي القـــديم

داعبـــي كـــل مســـاء رقمـــي
واصـدحي مثـل عصـافير الكـروم

كلمـــــة منـــــكِ .. ولـــــو كاذبـــــة
عمّـــرت لي منزلاً فوق النجـوم ..

ثلاث بطاقات من آسيا

من آسيا ..
عليكِ يا صديقتي السلام
فبعد عينيكِ أنا ، لا أعرف السلام
قطعتُ في تشرّدي الطويل
يا قمري .. يا أرنبي الجميل
يا رغوة الحليب والرخام ..
قطعتُ ألف عام
بدون عينيكِ .. بلا خبزٍ .. ولا طعام
تصوّري ! أنّي بلا عينيكِ .. ألف عام
بدون مصباحين أخضرين ..
بدون شمعتين ..
بينهما أنام .
فيروزتي :
ما زلتُ في سفينتي
أصارع الشموس ، واللّصوص ، والدوار
نزلتُ في مرافيء موبوءة المياه
صليتُ في معابد ليس لها إله
وأرخص الخمور ذقت .. أرخص الشفاه
قُتلتُ ألف مرة ..
غرقتُ ألف مرّة ..
صلبت فوق حائط النهار
وسبعةٌ قطعتُها .. من أوسع البحار
من أخطر البحار ..
لمست سقف الشمس ، كانت رحلتي انتحار ..
تصوّري ..
أنّي بلا عينيكِ ، يا حبيبتي ، قرون
لا كوكب في الأفق ، لا منار
بحّارتي في السطح ميّتون
وخبزيَ الإسفنج والمحار

تصوّري الأرض وما تكون
يا أرنبي الحنون
بدون عينيكِ ، بلا فُسْقيّةِ اخضرار
بدون شاطئين مقمرين ..
بدون غابتين ..
أنشد في حماهما القرار
من آخر الدنيا .
ومن جدارها القصيّ
بطاقتي تأتيكِ ، يا اعزّ ما لديّ
يا كل ما لديّ
الشمس فوق آسيا ..
كحقل برتقال
كلوحة لا تُشترى بمال
والليل في هونكونغ صندوق من الحليّ
بعثره الله على الجبال
والبحر يا صديقتي
شال بنفسجي ..
يشهق من تطريزه الخيال

* * *

من آسيا
أمدّ يا أميرتي يديّ
أسأل عن عينيكِ ، يا أعزّ ما لديّ
عن قطعتي حليّ
ما لهما مثيل
في اللون والنقاء
أميرتي :
أعرف أنّ مركبي
يغصّ بالكنوز ، والبخور ، والفِراء
وأنّ عندي مئة من أجمل الإماء
من أندري الإماء ..
أعرف أني عائد بالذهب الكثير
بالخزف الصينيّ ، بالسجاد ، بالحرير
بألفِ كنز مذهل مثير ..

لكنني .. يا أرنبي الصغير
برغم ما جمعته فقير
بدون عينيكِ .. بدون ماستين
ما لهما نظير
يا كنزي الأول .. والأخير

أوريانتيا

أوريانْتيا ..
صديقة من آسيا
الأنف من شيراز ، والعينان من قَفْقَاسِيا
والشفتان .. زهرتا أضاليا
أوريانتيا ، تكوّنتْ من رغوة البحار
من نكهة المانغو ، من الأصداف والمحار
من كل ما في الهندِ .. من طيبٍ .. ومن بهار
أوريانتيا .. شاحبةٌ .. جمّلتِ الشحوب
دافئة .. كالبُنّ في مزارع الجنوب
تائبة ! من قال ؟
جلّ الحسنُ أن يتوب ..
* * *
أوريانتيا ..
نهدان واقفان
كقبتي نحاس
في ذهب المغيب
صحنان صينيّان رائعتان
قلعتان من لهيب
تزودا من آسيا .. بزهرتي غارديني
بعنبر .. بفلفل بطيب ..
وحبتي زبيب ..
* * *
أوريانتيا
شاحبة جملت الشحوب
أوريانتيا
أحرّ ما عرفتُ من توابل الجنوب

الرسائل المحترقة

أحقًـــا .. رســـالاتي إليـــكِ تمزّقـــت
وهـــنّ حبيبـــاتي .. وهـــنّ روائعـــي

أأنكـــر مـــا فـــيهنّ ؟ لا يـــا صـــديقتي
علـــيهنّ أســـلوبي ، علـــيهنّ طـــابعي

علـــيهنّ أحـــداقي ، وزرقـــة أعينـــي
وروعـــة أســـحاري ، وســـحر مطـــالعي

حروفـي . سـفيراتي . مرايـا خـواطري
وأطيـــب طيـــب فـــي زوايـــا المخـــادع

وأجمـل مـا غنّيـتُ .. مـا طـرّزَتْ يـدٌ
وأكـــرم مـــا أعطـــت أنامـــل صـــانع

بأعصـاب أعصـابي ، رسـمتُ حروفهـا
وأطعمتُهـا مـن صـحتي ، مـن مـدامعي

وأنفقـــت أيـــامي ، أصـــوغ ســـطورها
بدقّـــــة مثّـــــال .. وأشـــــواق راكـــــع

* * *

أجيبي .. أجيبي .. ما مصير رسائلي ؟
فـــإنّي مُـــذْ ضـــيعتُها ألـــف ضـــائع

ألـــم تتـــرك النيـــران منهـــا بقيـــة
ألـم يـنجُ حتـى مقطـع مـن مقـاطعي ؟

حصـيلة عـام .. تنتهـي فـي دقـائق
وتلـــتهم النيـــران كـــل مزارعـــي

وتـذهب أوراقـي التـي اسـتهلكت دمـي

فـلا رجـع مـوّال .. ولا صـوت زارع

* * *

أمطعِمــة النيــران .. أحلــى رســائلي
جمالــكِ مــاذا كــان ؟ لــولا روائعــي

فثغــرك بعــض مــن أناقــة أحرفــي
وصــدركِ بعـض مـن عويـل زوابعـي

أنا بعض هذا الحبر .. ما عدتُ ذاكرًا
حـــدود حروفي .. من حدود أصابعي

قصة خلافاتنا

- ١ -

برغم .. برغم خلافاتنا
برغم جميع قراراتنا
بأن لا نعود
برغم العداء .. برغم الجفاء ..
برغم البرود
برغم انطفاء ابتساماتنا
برغم اتقطاع خطاباتنا
فثمّة سرّ خفيّ
يوحد ما بين أقدارنا
ويدني مواطيءَ أقدامنا
ويفنيكِ فيّ ..
ويصهر نار يديكِ بنار يديّ

- ٢ -

برغم جميع خلافاتنا
برغم اختلاف مناخاتنا
برغم سقوط المطر
برغم استعادة كل الهدايا ..
وكل الصور ..
برغم الإناء الجميل الذي قلتِ عنه انكسر
برغة رتابة ساعاتنا ..

برغم الضجر ..
فلا زلت أؤمن أنّ القدر
يصرّ على جمع أجزائِنا
ويرفض كل اتهاماتنا ..

- ٣ -

برغم خريف علاقاتنا
برغم النزيف بأعماقنا
وإصرارنا ..
على وضع حدّ لمأساتنا
بأي ثمن ..
برغم جميع ادعاءاتنا
بأني لن ..
وأنّكِ لن ..
فإني أشك بإمكاننا
فنحن برغم خلافاتنا
ضعيفان في وجه أقدارنا
شبيهان في كلّ أطورانا
دفاترنا .. لون أوراقنا ..
وشكل يدينا .. وأفكارنا ..
فحتّى نقوش ستاراتنا ..
وحتى اختيار اسطواناتنا
دليل عميق ..
على أننا ..
رفيقا مصير ، رفيقا طريق
برغم جميع حماقاتنا ..

الكبريت والأصابع . .

أخـــذ الكِبريـــت .. وأشـــعل لـــي
ومضـــى كالصـــيف المرتحِـــل

وجمـــدت بأرضـــي ، وابتـــدأتْ
تـــأكلني النـــار علـــى مهـــل

مـــن هـــذا الفـــارس ؟ طـــار لـــه
فـــي صـــدري .. زوج مـــن حَجَـــل

لـــم أعـــرف منـــه ســـوى يـــده
قالـــت عينـــاه .. ولـــم يقـــل ..

رجـــــل يمنحنـــــي شـــــعلته
مـــا أطيـــب رائحـــة الرجـــلِ

يـــــده تتحـــــدث دون فـــــمّ
كجـــــوار الشـــــمع المشـــــتعل

وعـــــــروق زرق نـــــــافرة
ضـــيعها الليـــل .. فلـــم تصـــل
* * *
راقبـــــتُ نحـــــول أصـــــابعه
ودرســـــت تعـــــابير يديـــــه

وأحطـــــتُ بأشـــــواقي ظفـــــرًا
آثـــــار التـــــدخين عليـــــه

وعبـــــدتُ بقيّـــــة إرهـــــاقٍ
تحتـــــلّ جوانـــــب عينيـــــه

والتعـــــب الأزرق تحتهمـــــا
وهطـــــول الـــــثلج بصـــــدغيه
* * *
ووقفـــــت أمـــــام رجولتـــــه
كصـــــغير ضـــــيّع أبويـــــه

كالأرنـــب .. مـــا .. أصـــغرني
يـــا ربـــي بـــين ذراعيـــه ..

أتعلّـــــق فيـــــه .. وأتبعـــــه
وأغـــوص بـــريش جناحيـــه

أأحـــــبُّ يـــــدًا .. لا أعرفهـــــا
مـــاذا يربطـــــــــني بيديـــه ؟

خطاب من حبيبتي

- ١ -
شكرًا ..
على خطابكِ الأخير ..
سفيرك الموعودِ .. يا لرقّة السفير
قرأتُه .. لأربعين مرّة .. قرأته
أعدتُه .. لأربعين مرّة .. أعدته
غرقتُ في طيوبه
بكيتُ من أسلوبه
بكيت كالأطفال في سريري
نبشتُه .. عصرتُه ..
عصرتُ كلّ نقطة فيه ، إلى الجذور .
- ٢ -
هذا خطاب منكِ ..
ما أخطأني شعوري
عرفتُه ..
من خطّك المنمنم الصغير
من حبركِ الأخضر .. من أسلوبكِ الأمير ..
من رشّةِ النقاط في أواخر السطور ..
من اسمكِ النائم عنقودًا من العبير
في آخر الصفحة ..
عنقودًا من العبير ..
- ٣ -
عندي خطاب منكِ ..
يا للنبأِ المثير
داختْ به وسائدي ..
داختْ به ستوري

أودّ لو قرأته
للنهر ، للنجمة ، للغدير
للريح ، للغابات ، للطيور
أودّ لو نقشتُه ..
في أضلع الصخور
- ٤ -
ثلاث صفحاتٍ منمّقاتٍ
كأنها مدراج الزهور
تصحو معي .. تغفو معي ..
تنام في ضميري ..
ثلاث صفحات معطّراتٍ
كأنها وسائد الحرير
ما أروع النوم على الحرير ..
*
عندي خطاب أزرقٌ
ما مرّ في ذاكرة البحور
عندي أنا لؤلؤة ..
أين غرور الله من غروري ؟

يَد

يــدُكِ التــي حَطَّــتْ علــى كَتِفــي
كحَمَامَــةٍ .. نَزلَــتْ لكــي تَشــربْ

عنــدي تســاوي ألــفَ مملكَــةٍ
يــا ليتَــها تبقــى ، ولا تَذهَــبْ

تلـكَ السَّـبيكَةُ .. كيـفَ أرفضُـها ؟
مَـنْ يَـرفضُ السُّكنى علـى كوكَـبْ؟

لَهَــثَ الخــيالُ علــى ملاسَــتِها
وانهَــارَ عنــدَ ســوارِها المُذْهَــبْ

الشّمــسُ.. نائمــةٌ علــى كتفــي

قبَّلتُـــها ألـفـــاً .. ولـــم أتعَـــبْ

نَهْـــرٌ حـــريريٌّ .. ومَرْوَحَـــةٌ
صـــينيَّةٌ .. وقصـــيدةٌ تُكتَـــبْ..

* * *

يَـدُكِ المليســةُ ، كيــفَ أقنِــعُها ؟
أنِّــي بهــا .. أنّــي بهــا مُعجَــبْ؟

قولـــي لَهَـــا تَمْضـــي برحلتِهـــا
فَلَهَـا جميـعُ .. جميـعُ مـا تَرغـبْ

يـدُكِ الصـغيرةُ .. نَجمـةٌ هَرَبَـتْ
مـــاذا أقـــولُ لنجمـــةٍ تلعـــبْ ؟

أنـا ســاهرٌ .. ومعـي يـدُ امـرأةٍ
بيضاءُ .. هل أشهى .. وهل أطيَبْ ؟

أخبَروني

أخبرونـــي بـــأن حســـناء غيـــري
يـا صـديقي ، لـديك حلّـت محلّـي

أخبرونـي بـالأمس ، عنـكَ وعنهـا
فلمـاذا يـا سـيدي .. لـم تقُـلْ لـي ؟

ألـف شـكرٍ .. يـا ذابحًـا كبريـائي
أو هـذا جـواب حبّـي وبـذلي ؟

أنـا أعطيتُـكَ الـذي لـيس يعطـى
مـن حيـاتي ، وأنـتَ حاولـت قتلـي

يا رخيص الأشواق .. خمس سنينٍ
كنـتُ أبنـي علـى دخـان .. ورمـل ..

كـان عطـري لـديكَ.. أجمـل عطـرٍ
كـــان شـــعري عليـــكَ شـــلال ظـــلّ

كـــان ثـــوبي البنفســـجيّ ربيعًـــا
كـــمْ علـــى زهـــرةٍ جلســـتَ تصـــلّي

وأنـــا اليـــوم ، لســـتُ عنـــدكَ شـــيئًا
أيـن عينـاي ؟ أيـن طيبـي وكحلـي ؟

* * *

لا تلامـــس يـــدي بغيـــر شـــعور
عنـــدك الآن .. مـــن تحـــلّ محلّـــي

سأصـــلّي .. لكـــي تكـــون ســـعيدًا
فـي هواهـا ، فهـل تُصـلي لأجلـي ؟

أنـتَ طفلـي الصـغير .. أنـت حبيبـي
كيـف أقسـو علـى حبيبـي وطفلـي ؟

هـي فـي غرفـة انتظـاركَ .. فاذهـب
بـــين أحضـــانها ســـتعرف فضـــلي

يـــا صـــديقي شـــكرًا .. أنـــا أتمنّـــى
لـــو وجدتَ التي تحبّـــكَ مثلي ...

قطتي الغَضْبَى

للمـــرّة العشـــرين .. كرّرتَهـــا
" هـل فـي حيـاتي رجـل آخـر ؟ "
نعـــم .. نعـــم .. فهـــل تصـــورتَني
مقبـــرةً لـــيس لهـــا زائـــر ؟
مـــا أكثـــر الرجـــال .. يـــا ســـيدي
لا روضـــة ، إلا لهـــا طـــائر
تجربـــة كانـــت .. وهـــا أنّنـــي
نجـــوتُ مـــن ســـحرك يـــا ســـاحر

شـفيتُ مـن ضـعفي ومـن طيبتـي
طيبـــة الـــنفس لهـــا آخـــر
* * *
تحبُنـــي ؟ ليتـــك مـــا قلتهـــا
هـــذا حـــديث غـــابر غـــابر ..
منـذ متـى أصـبحتَ تهـتم بـي ؟
منـذ متـى هـذا الهـوى الغـامر ؟
هـــل كنـــتُ إلا مقعـــدًا مهمَـــلاً
يضـــــمُه أثاثـــــكَ الفـــــاخر
مزرعـــة .. نهبـــتَ خيراتهـــا
لا ذمـــة تنهـــى ، ولا زاجـــر
* * *
يـــا أيهـــا البـــاكي علـــى ملكـــه
لقـــد تـــداعى ملكـــك الزاهـــر
كانـــت لـــك الجنـــات مفتوحـــة
ثمارهـــا ، وعشـــبها الناضـــر
واليـــوم .. لا نـــار ولا جنّـــة
هـــذا جـــزاء الكفـــر ، يـــا كـــافر
* * *
لـــو كنـــتَ إنســـانًا معـــي .. مـــرة
مـــا كـــان هـــذا الرجـــل الآخر

الرجل الثاني

أنـــا هنـــا .. بعـــد عـــام مـــن قطيعتنـــا
ألا تمـــدّين لـــي بعـــد الرجـــوع يـــدًا ؟

ألا تقـــولين : مـــا أخبارهـــا ســـفني ؟
أنـــا المســـافر فـــي عينيـــكِ دون هـــدى

حملـــتُ مـــن طيبـــات الصـــين قافلـــة
وجئـــتُ أطعـــم عصـــفورين قـــد رقـــدا

وجئـــتُ أحمـــل تـــاريخي علـــى كتفـــي

وحاضرًا مرهق الأعصابِ ، مضطهدًا

مــاذا أصــابكِ ؟ هــل وجهــي مفاجــأةٌ
وهـل توهمـتِ أنّـي لـن أعـود غـدًا ؟

مــا للمرايــا علــى جـدرانها اختلجـت
لمّــا دخلــتُ ، ومــا للطيـب قـد جمُـدا

تركــتُ صــدركِ فــي تفتيحــه ولــدًا
وحــين عــدتُ إليــه .. لــم يعــد ولــدًا

وناهــداكِ .. أجيبــي ، مــن أذلهمــا ؟
ويــوم كنــتُ أنــا .. لله مــا ســجدا

كانــا أميــرين .. كانــا لُعبتَــي خــزفٍ
تقــوم دنيــا إذا قامــا .. وإن قعــدا

يا مدفن الثلج .. هل غيري يزاحمني ؟
وهـل سـرير الهـوى مـا عـاد منفـردًا

جريــدة الرجــل الثــاني .. ومعطفــه
وتبغِـه .. لـم يـزل فـي الصـحن متّقـدًا

مــا لــون عينيــكِ ؟ إنّــي لســتُ أذكــره
كــأنّني قبــلُ لــم أعرفهمــا أبــدًا

إنّــي لأبحــثُ فــي عينيــكِ عــن قــدري
وعـن وجـودي ، ولكـن لا أرى أحـدًا ..

إلى قديسة

ماذا إذن تتوقعين ؟
يا بضعة امرأة .. أجيبي
ما الذي تتوقعين ؟

أأظلُّ أصطاد الذباب هنا .. وأنتِ تدخنين ؟
أجترّ كالحشّاش أحلامي ..
وأنتِ تدخنين ..
وأنا .. أمام سريرك الزاهي .. كقطٍّ مستكين
ماتت مخالبه .. وعزته .. وهدّته السنين
أنا لن أكون - تأكدي -
القطّ الذي تتصورين
قطًّا من الخشب المجوّف لا يحركه الحنين
يغفو على الكرسيّ إذْ تتجردين
ويردّ عينيه .. إذا انحسرت قباب الياسمين ..

* * *

تلكَ النهاية ليس تدهشني
فما بالك تُدهشين ..
هذا أنا ..
هذا الذي عندي .. فماذا تأمرين ؟
أعصابيَ احترقت وأنتِ على سريركِ تقرأين ..
أأصوم عن شفتيك ؟. فوق رجولتي ما تطلبين
ما حكمتي ؟ ما طيبتي ؟ هذا طعام الميتين ..
متصوف ؟؟
من قال ؟ إني آخر المتصوّفين ..
أنا لستُ يا قديستي الربّ الذي تتخيلين
رجلٌ أنا كالآخرين
بطهارتي ..
بنذالتي ..
رجل أنا كالآخرين
فيه مزايا الأنبياء ، وفيه كفر الكافرين
وداعة الأطفال فيه ..
وقسوة المتوحّشين ..

* * *

رجل أنا .. كالآخرين ..
رجل يحبّ - إذا أحبّ - بكل عنف الأربعين
لو كنتِ يومًا تفهمين
ما الأربعون ؟ .

وما الذي يعنيه حبّ الأربعين
يا بضعة امرأة .. لو أنكِ تفهمين ..

إلى مراهقة . .

" رجل أنتَ ؟ " .. قلتِها في تحدّ
ضاع منّي فمي .. ماذا أجيب

لا تكوني حمقاء .. ما زال للنسر
جناح .. على الذرى مسحوب

لم أتبْ عنكِ يا غبيّة ، عجزًا
ومتى كانت النسور تتوب ؟

لا تمسي رجولتي .. لو أنا شئتُ
طعامًا .. لكنتُ منه أصيب

كنتُ أستطيع أن أحيلكِ جمرًا
فأذيب الرخام .. ثمّ أذوب ..

* * *

منطق الأربعين .. يلجم أعصابي
فعفوًا .. إن لم تُثِرني الطيوب

ما أنا فاعل بخمسة عشر
شهد الله أنّه تعذيب

شفتاكِ الصغيرتان أمامي
وضميري عليهما مصلوب

وثب الأرنبان نحوي .. فمالي
كجدار الجليد لا أستجيب ؟

كلما فكرتْ يداي بقطف
ردّني الطهر عنهما .. والحليب

اذهبــي .. فالصــداع يحفــر رأســي
والـرؤى .. والـدخان .. والمشـروب

لا تصـبّي الكحـول فـوق جراحــي
فالصــراع الــذي أعــاني رهيــب

لــكِ عمــر ابنتــي .. ولــين صــباها
وتقاطيعهــا .. فكيــف الهــروب ؟

اليــدان الشــمعيتان .. يــداها
والفــمّ الطفــلُ .. ســكّر وزبيــب

كلمــا طفــتِ فــي مكــان جلوســي
طـاف بـي وجههـا الصـغير الحبيـب

أين أنجو من عقدتي ؟ كيف أنجو ؟
مـن ورائـي .. ومـن أمـامي اللهيـب

* * *

اذهبـي .. اذهبـي .. كسـرتِ سـلاحي
ضـاع مــنّي فمــي .. فماذا أجيـب ؟

صوتٌ من الحريـم

- ١ -

" تُحبّني " !
الجملة الجوفاء ذاتُها ..
" تحبني " !!
اللفظة البلهاء ذاتها ..
" تحبني " !!
النغمة القديمة التي بها دوختني
أوّل ما عرفتني ..
أضعتُ إحساسي بها
فلم تعد تهزّني ..

- ٢ -

" تحبني " !
كأيّ .. أي امرأة تحبني
وجه أنا .. وجه من الوجوه في دفترك الملون
جريدة صفراء تطويني إذا قرأتني
سوسنة تضيفها إلى ألوف السوسن
ولعبة من خزف ..
تشيلُني ..
تحطّني ..
فإذا رأيتَ لعبة جديدة
حطّمتني ..

- ٣ -

" تحبّني " !
لا .. لا تعدها مرّة أخرى ..
فقد أضحكتني
يا لاعبًا في السرك .. يا مهرجًا ..
بألفِ وجه مستعار .. ألف دور متقن ..
كفى .. كفى .. فتلك مسرحيّة
مثلتها أول ما رأيتني
وعشتُ عامين بها ..
مأخوذةً بكل ما أسمعتَني
بالضوء ، بالحوار ، بالجوّ الروائي الغني
فمشهد يقيمني ..
ومشهد يقعدني ..
وأنتَ ، فوق المسرح المضاء تستثيرني
بالجمل الجوفاء .. بالحرف الذي يؤمن ..
ما أرخص الحرف إذا لم يؤمن ..

- ٤ -

" تحبّني " !
معزوفة .. معادة .. رخيصة الملحن ..
تديرها .. تديرها لكل وجه حسن
قل غيرها .. أتلفتَ أعصابي بها .. أتلفتني ..
قل غيرها .. قل تشتهي طيبي .. ودفء مسكني

قل إنني .. جميلة .. وسهلة .. وإنني ..
أعطيتُ في بلاهة جميعَ ما سألتني ..
وآ أسفي .. جميع ما سألتني ..

- ٥ -

تريدني .. محظيّة جديدة
تدفنها .. وراء جدران الحريم المزمن
أما أنا فإنني ..
أبحث يا مُستثمري .. عن رجل يحبّني ..
وأنتَ لا تعرف أن تحب .. أن تحبني ..
فأنتَ غاوي تحفٍ
ميدانك العيون .. لا ما وراء الأعين ..
وأنتَ طفل لاعبٌ بالحَرَز الملوّن ..

****
********* النهاية *********
****